رسالة إلى ابنتي

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة إلى ابنتي

١) رسالة مِنِّي إليَّ
٢) العلاقة بيننا
٣) أنتِ .. إنسان عظيم

خالد أبو الفتوح

مقدمة

الحـمد لله والـصلاة والسـلام على رسـول الله وآله وصحبه وسلم

وبعد

أصل هذه الأوراق رسائل حـقيقية كنت أرسلـتها أنا وزوجتي إلى ابنتــنا الكبرى أثناء غربتنــا عن الديار، وما أكثر غربات المسلم في هذه الأزمان!.

وقد أحسسنا أن انتقــالها من المرحلة الثانوية ودخولها المرحلة الجامعية انتقال من مرحلة إلى مرحلة في رحلتها في الحياة، فَنَشَــأتْ هذه الرسائل استجـابة لتساؤلات أو محاولة لتقديم نصائح عامة في الحياة أو حلول لمشكلات أو عوائق قــد تعتــرضهــا في هذه المرحلة الحســاسة من عمرها.

ثم رأيتُ أن هذه التساؤلات أو المشكلات أو العوائق التي قد تعتــرضها لا تخصهــا هي فقط، بل تهم قطاعًا

عريضًا من فتياتنا المسلمات في الجامعة أو غيرها، وأحسست أن كثيرًا مما في هذه الرسائل قد تحتاجها الفتاة التي في سنها، بغض النظر عن كونها بجوار والديها أو بعيدة عنهما، بل إذا حذفنا منها (ياء المخاطبة) فإن معظمها يحتاجه الشباب المسلم من الجنسين، فرأيت أنه قد يكون في نشرها مصلحة ونفع عام لمن في مثل سنها، فاستَشَرْتُ الأسرة في نشرها واستخرت الله (عز وجل)، وبعد الموافقة عَمَدْتُ إلى الرسائل فحذفت منها الجوانب الشخصية، وهذبتها ونقحتها وزدت عليها بما يناسب رسالة منشورة نشرًا عامًا، على النحو الذي يظهر بين يديك الآن، آملاً أن تَعُدُّني قارئتها الكريمة في مقام أبيها أو أخيها الأكبر.

أدعو الله (عز وجل) أن تلقى قبولاً بين فتياتنا وأن ينفع بها في الدنيا والآخرة.

خالد أبو الفتوح

رسالة مِني إليَّ

ابنتي الحبيبة رغم تباعد الديار

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أدعو الله (عز وجل) أن تصلك رسالتي هذه وأنت على ما يقر عيني في دينك ودنياك، وأن تكوني مطمئنة النفس، قريرة العين، صحيحة البدن، راضية عن ربك، وراضٍ عنك ربك.

رسالتي هذه ليست إلى طرف آخر، بل هي مِنِّي إليَّ ، إلى قطعة مني، حتى ولو انفصلت هذه القطعة عني جسدًا، وراحت تُكَوِّن لها (كيانًا) آخر وتبحث لها عن (شخصية) أخرى، يسعدني أن تكون لهذه القطعة مني كيانها المستقل وشخصيتها المتميزة، ولكني لا أستطيع أن أنسى أنها قطعة مني أو أن أتخلى عنها أو لا يهفو قلبي لذكراها، فإذا افترقنا أو ابتعدنا عن بعضنا فأدعو الله أن يجمعني معها على خير، وحتى نلتقي سأظل أعيش مرارة الفراق، أنادي باسمها أخواتها،

أتخيلها تطعم من طعامنا، أراها تمشي بيننا؛ ألم تسمعي إلى حال الأب المكلوم الذي فقد ولده الحبيب، فقال له من لا يعرف مرارة فَقْد الحبيب: ﴿**تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**﴾ [يوسف: ٨٥].

إن هذا الشعور هو الشعور الطبيعي لأي أب سَوي يحب أبناءه ويتمنى لهم الخير والسعادة، وليس من أب إلا يحب أبناءه ويتمنى لهم الخير والسعادة ويحب أن يكونوا خيرًا منه، فهم عنده زهرة الحياة الدنيا وعزاؤه وسلوانه من مشاقها ومتاعبها، وهذا شعور لا يعيشه إلا الآباء، وستعرفينه عندما تكونين أمًا إن شاء الله تعالى، وعندها ستقدرين شعورنا ـ نحن الآباء ـ نحوك حق تقدير.

ولكن قد تختلف تصورات كل أب لحقيقة الخير وماهية السعادة، والأب الصالح لا يحزن فقط لبعد أولاده عنه أو فراقهم له أو لإصابتهم بمكروه في أنفسهم أو أبدانهم، ولكنه يحزن أيضًا إذا خشي أن تتعرض

جهوده في تربيـتهم للتبخر أمام عـينيه، أو أن يرى آماله فيهم يلفها خطر التحول إلى أحلام أو أوهام أو سراب، ويخشي أن يتـخلف أبناؤه أو أحدهم عن ركـب النجاة في الدنيا والآخرة؛ ﴿**وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ**﴾ [هود: ٤٢].

إن قرار بعـدنا عنكِ - أو بعدك عنا - لـم يكن قراراً سهلاً علـينا، بل أملته علينا ظروف مُلجِئة أو مـصلحة رأينا أنهـا راجحة لنا جـميـعًا، ثم اتخـذت هذا القرار وكلي ثقـة - ومـا زلت - بأن دينك وتربيـتك سـيكونان عونًا لكِ على مواجهة المخاطر والصعاب المتوقعة، وأنك ستنجحين في هذه التجربة إن شاء الله، ولكن أيضًا كان أكبر تخـوفاتي عليك في هذه التجربة: قـلة خبرتك في الحياة وسـهولة انخداعك بالمظاهر وإحسـان ظنك فيمن يستحق ولا يستحق، وأن تَـقْدُمي - بعيدًا عن المشاورة - على اتخاذ قـرارات غيـر صائبة أو تنفـيذ خطوات غـير محسوبة، مع ظنك أن سعادتك في هذه القرارات وتلك الخطوات.

العلاقة بيننا

بنيَّتي: إن الرباط الذي يربطنا من أوثق الروابط، فهو فوق رباط الدم رباط الإيمان، وأوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، وإن العـلاقة التي بيننا ليست علاقـة طارئة أو قابلة للزوال، قـد يشوب هذه العـلاقة بعض شوائـب في الظاهر ولكنها سـتظل دومًا راسـخة متينة، ولا يصح لمن يرتبطوا ببـعضهم البعض بمثل هذه الروابط أن تكون عـلاقتـهم واهيـة وأن يكون تواصلهم ضعيفًا أو محدودًا؛ ولأني أعرف أن فتور العلاقة وبرود العاطفـة يشيعان بين كـثير من الآباء والأبناء ـ وخـاصة البنات ـ لعـوامل عديدة، فـإني أدعوكِ أن نعيـد ترتيب هذه العلاقة ونراجعها لتكون في وضعها الصحيح؛ فإن مما يحزن أي أب أن يرى العـلاقة بينه وبين من يحـبهم ويَعُدُّهم جزءًا منه ويقدمهم على نفسه، يرى العلاقة بينه وبين أولاده أقل من العلاقة بين الصاحب وصاحبه، فلا يشاركه همـومه وآماله، ولا يُطلِعه علـى مشاكله، وإذا

حــدث خطأ أو مكروه يكون آخــر من يعلم، وإذا عَلِمَ فقــد يعلم من غير صــاحب الخطأ أو المكروه، ثم تكون العواقب ـ لا قدر الله ـ وخيمة على الجميع، وقد يكون استــدراك هذه العواقب سهــلاً في بدايتهــا إذا واجهناها جميعًــا بمصــارحة وشفافية، ولكن تركها والتــمادي فيها قد يعقد حلها بعد ذلك.

أعرف أنه في أحــيان كثيــرة يكون الأب هو المسؤول عن هذا الفــتــور فــي العــلاقــة، ولا أعــفي أحــدًا من مسؤوليته، ولكن الحقيقة المُرَّة أن محصلة هذا الأسلوب في التــعامل: فــوق أنه يوجِد فــجوة بيننا لا ينبــغي أن توجد بين المنتمين إلى أسرة واحدة، فإنه قد يوقِعك في مشاكل أكبــر من المواجهة والشفافيــة والمصارحة التي قد تخشين منهــا أو من عواقــبها، حــتى ولو كان أبوك أو أمك سيقسوان عليكِ بكلمة أو نقد أو نصيحة، أو حتى عقوبة، ولكني لو افــترضت أني خسرت معركة التــغيير مع الأب لظروف سنه أو ثقافته أو وضــعه الاجتماعي، فإني أفترض أني أخاطب فيــكِ الآن شخصًا بالغًا راشدًا

واعيًا ومثـقفًا، يقدر المصالح ويترفع عن الـصغائر حتى ولو صدرت من الكبار، وليس طفلاً تُسَـيِّرُه رغباته ـ أو نزواته ـ ويصر على إثـبات ذاته أو تحقـيق طلباته مهـما كـانت التكاليف والعواقـب، فالكبـار ـ بحق ـ يوازنون بدقة بين المصـالح والمفاسد ويتحمـلون تجاوز الآخرين ـ إن حصل ـ من أجل تحصيل المصالح ودفع المفاسد.

لقد تذكـرت في أهمية المكاشـفة والمصارحـة موقف أختك في الثانوية، عندما جاءت ورقـة اختبارها بدرجة ممتـازة ومعـها تهنئـة مـدرسة المادة وأمنيـتهـا أن تكون مشـاركتها في الـفصل بمثل مستـوى إجابتهـا في ورقة الاختـبار، فـسألتُـها: ولماذا لا تشاركين فـي الفصل؟، قالت: أخشى أن أجيب إجابة خاطئة فأحرج نفسي أمام زميـلاتي، قلت لها: بالـعكس، إن ذلك يدعوكِ أكـثر للمـشاركـة وإخراج مـا عندك، لأنك إذا كنتِ مخطئـة فستكونين بحاجة لتصحيح هذا الخطأ، ولن يتحقق ذلك إلا بإخـراج ما بداخلك، وإذا أخطأت أمـام زميـلاتك فسيُنسى هذا الموقف ـ وهو يحدث من جميع البشر ـ ثم يبقى تصـحيح خطئك مـحفورًا فـي ذاكرتك. . . أليس

كذلك؟، ألـيس إخراج ما في بـثور الجسم مـن صديد وقيح ـ حتى ولو كان كـريه الرائحة، بشع المنظر، مؤلمًا إخراجُه ـ خـير من الإبقاء عليه ـ حـتى ولو كان شكل البشرة سليمًا وناعمًا ـ؟.

إذن: لتكن العـلاقة بيننا عـلاقة تواصل قائـمة على المحبة والمودة لا على الخوف والرهبـة، صحيح أن فارق العمر سيـوجِد فروقًا في طريقة التفكيـر والاهتمامات، عادة مـا توجد بين الأجـيال، وصـحيح أن هيـبة الأب ستوجِد حاجزًا لـلانفتاح والمكاشفة بيننا، ولكن ذلك لا يمنع من أن يحـاول كل منا الاقـتـراب من الآخـر وأن يتـــحـــمل بعض التنـازلات أو المشـاق مـن أجل هذا التقـارب، ليكن هذا التهيُّب صـورة للاحترام والتـقدير وليس حاجـزًا لكِ عن المصارحة والشـفافيـة والتواصل بيننا، وإذا كـان هذا التواصل المنشـود صعبًـا في بداياته فلنكتشف ونبتكر طرق تـذليله وتنوع وسائله: برسالة أو رسول، بهدية أو ملاطفة.

إنني حـــريص على إيضـــاح هذه النقطـة في بداية

حيـاتك الجديدة لأني ـ كما سـبق أن قلت لكِ ـ أخشى عليكِ قلة خبـرتك في الحياة، فكل خـبير محـتاج إلى مشيـر، وكل سالك طريق يحتاج إلى رفـيق، فما بالك بغير الخـبير أو بالقاصي البعـيد عن الركْب بلا رفيق؟، وقد حذرنا حـبيبنا ﷺ من الابتعـاد عن الركب الصالح فقـال: "إن الشيطان ذئب الإنسان كـذئب الغنم، يأخذ الشاة القـاصيـة والناحيـة، فإياكم والشِّعـاب، وعليكم بالجماعة والعـامة والمسجد"(١)، فحذارِ حذارِ بنيتي من الذئاب، ذئاب الشياطين وذئاب البشر، حذارِ أن تمكنيهم منك بالابتـعاد عن الركب الصالح والسـير في شِـعاب الحياة وحدك، قاصية بعيدة، منفردة شريدة، ولنلتئم في الركب الصالح والجماعة الصالحة.

وليكن منهجنا أن مواجهة أنفـسنا ومواجهة مشاكلنا ـ وليس الهروب منهـا ـ أقصر طـريق لحلها، وأن هذا هو أسلوب (الكبار) في الحياة.

---

(١) أخرجـه أحمد بن حنبل، وحـسنه الشيخ الأرناؤوط، ح/ ٢٢٠٨٢، جـ٥، ص٢٣٢.

أنتِ.. إنسان عظيم

فأنت مِن نسل مَن اختـاره الخالق (سبحـانه وتعالى) ليكون خليفة في الأرض ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَـلاَئِكَةِ إِنِّي جَـاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيـفَـةً**﴾ [البقـرة: ٣٠]، أَنتَ من نسل مَن أسـجـد الله له مـلائكتـه ﴿**وَلَقَـدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَـلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَـجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّـاجِدِينَ**﴾ [الأعراف: ١١]، أنت مـمَـن كـرَّمـهم الـله الكَريم ﴿**وَلَقَـدْ كَـرَّمْـنَا بَنِي آدَمَ وَحَـمَلْنَاهُمْ فِي الْـبَرِّ وَالْـبَـحْـرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّـبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَـى كَثِيرٍ مِّـمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِـيلاً**﴾ [الإسراء: ٧٠]، أنت ممَـن سَـخر لهم الله (عز وجل) مـا في ما في السمـاوات وما في الأرض ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَـخَّرَ لَكُم مَّـا فِي السَّـمَـاوَاتِ وَمَـا فِي الْأَرْضِ وَأَسْـبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَـهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَـيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ**﴾ [لقمان: ٢٠]، أنتَ ممن شاءَ الله (سبحانه) أن يكرمه بالعقل والتـمييز والاختيار والمشيئة.

ولكن ليس ذلك تدليلاً أو بلا حكمة، سبحان الله أن يكون خلقه عبثًا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، بل لحكمة بالغة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولمسؤولية عظيمة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ويقف حائلاً بينك وبين تحقيق هذه الحكمة وحمل هذه المسؤولية عدو أبيك الأول، إبليس الذي استكبر على طاعة مولاه وأبى أن يسجد لمن كرمه الله؛ لأبيك آدم، فأعلن العداوة له ولبنيه حتى قيام الساعة ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ

الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٧٥ـ ٨٣]، ومنذ ذلك الحين أصبح هو وأولياؤه أعداءً لجميع بني آدم **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** [يس: ٦٠]، **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾** [فاطر: ٦]، فعجبًا لمن يعرض عن مولاه ومُكرمه والمنعم عليه ويتخذ عدوه وعدوه وليًّا حميمًا **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾** [الكهف: ٥٠].

أنتِ إنسان عظيم إذا حافظتِ على عهدك مع ربك وكنتِ من المخلصين، أي: إذا حافظتِ على إنسانيتك التي بها استحققتِ الكرامة والفضل والتسخير والاستخلاف وتحمل الأمانة، أما إذا انحزتِ إلى عدوك أو استغفلك هذا العدو فإنه حينئذ يجردك من خصائص إنسانيتك التي تتميزين بها عن عالم الحيوان ويجرك إلى

أن تكوني ممن قال الله فيهم: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ [الأعراف: ١٧٩].

أما إذا حافظتِ على عهدكِ وميثاقك مع ربك بعدم عبادة غيره فإنكِ حينئذ تكونين أكثر حرمة حتى من بيت الله الحرام؛ ليس هذا ادعاءً مني، بل هذا ما ذكره رسولنا ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنه) قال: "رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك: ماله، ودمه، وأن نظن به إلا خيرًا"(٢).

*****

إنكِ إذا استحضرتِ عظمتك المستمدة من ربك

---

(٢) أخرجه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، جـ٢، ح/ ٢٤٤١.

العظيم وعـزتك المسـتـمـدة من ربك العـزيز وقـوتك المستمدة من ربك القـوي. . استطعتِ أن تَشُقِّي طريقك في الحيـاة وأن تتغلبي على عـدوك في داخلك وعدوك من الجن والإنس، سـيـوسـوس لكِ الشـيطان بأنك ضعـيفة، وقـد يعيِّركِ بعض ضـعاف النفـوس بأن فيكِ قـصوراً ونقـصًـا، وقد تفـشلين في بعض تجـاربك في الحياة، وتخافين من المستقبل أو المجهول.

فهل أنت ضعيفة؟، وهل فيكِ قصور ونقص؟.

سأترككِ تجيبين أنتِ على هذه الأسئلة إجابة نهائية، ولكن اسـمـحي لي أنَ أشـاركِك التـفكيـر حـول هذه المسـائـل، من باب أني إنسـان مـثلك تشـغـلني هذه التساؤلات وتعتريني هذه المخاوف.

في رأيي أن المداخل الرئيسية للعجز والفشل تتمثل في: الخوف، واليـأس، وقلة الخبرة بالآخـرين، واتباع هوى النفس، وبعـض المفـاهيم الخـاطئـة في الدين أو الحياة.

وسألخص لكِ تصوري عن نشأة بعض هذه المخاوف

وبعض هذه المداخل الشيطانية للتأثير على بني آدم وتعجيزه عن فعل الخير، وليكن منهجنا ـ كما اتفقنا ـ: أن مواجهة أنفسنا ومواجهة مشاكلنا ـ وليس الهروب منها ـ أقصر طريق لحلها، وأن هذا هو أسلوب (الكبار) في الحياة.

أعتقد أن من أهم الأمور التي تؤثر على الإنسان في قدرته على المبادرة وتحقيقه النجاح ـ في أمور دينه ودنياه ـ: النظرة الدونية إلى ذاته وعدم ثقته بنفسه، نتيجة الإحساس بوجود قصور ذاتي فيه وفي مؤهلاته الجسدية والشخصية، فإذا أصابك هذا الإحساس وتمكَّن منكَ: وسوس لكِ الشيطان بأن هذا القصور سيظل ملازمًا لكِ ، وبعد أن يهز ثقتك في نفسك يتسرب إليك نوع من اليأس، خاصة مع استدعاء ذكريات بعض التجارب الفاشلة، ثم يُلِحّ عليكِ ويوهمكِ بأن آثار هذه التجارب ستلازمك مدى الحياة، وأن مصيرك هو أن تطاردك هذه الآثار ولا تنفك عنكِ ، وقد يزيدك وسوسة وتعجيزًا وصرفًا عن أسباب النجاح الحقيقية بإيهامك بأن السبب في ذلك هو وجود نوع من الحسد أو السحر فيما حدث

لكِ ، أي: أشياء خارجة عن دائرة استطاعتك وإمكاناتك الطَبيـعية، ولأنك كـأي إنسان تتـمنين أن تعيشي حـياة سعيـدة خالية من المنغصات والآلام والإخـفاقات. . لا تقبلين نفسـيًا أن يكون هذا مصيرك، فتـتعلقي ـ بعد أن سوّد الشيطان الدنيـا في عينيك ـ بأي بصيص نور وأمل يزيل هذا السواد ويقربك من تحـقيق هذه الأماني وإزالة هذا الهواجس وتغـيير هـذا المصير، حـتى ولو كان هذا البصيص مجرد أوهام، وحـتى لو كان عبور هذه الأزمة عبر مـخالفة (يسيرة) لدينك أو أخـلاقك. . فيزين لكِ الشيطان اتخاذ هذه (الخطوة اليسـيرة) التي تتوهمين أنها ستعيدك من جديد إلى مباهج الحياة وساحة النور.

وإذا وصلت إلى هـذه الخطوة يكون الشـيـطان قـد سجـل عليك (نقطة)، هي في الحقـيقـة (نكتـة) سوداء تطبع في القلب، اسـمـعي إلى حديث الرسـول ﷺ: " . . . تعرض الفتن على القلوب كالحصـير عودًا عودًا، فـأي قلب أشربهـا نُكِـت فيـه نكتة سـوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيـه نكتةَ بيضاء، حتى تصـير على قلبين:

على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مُجَخِّيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشْرِبَ من هواه"[٣].

* هذا ما أتصور، ولكِ أن تصححي لي من تصوري أو تنقديه ـ أيضًا بصراحة ووضوح ومواجهة (كبار) ـ إن كان هذا التصور خاطئًا أو قاصرًا، وإلى أن يأتي تصحيحك أو إقرارك فسأناقش ما جاء فيه وأفصله، فأقول:

نعود إلى البداية: هل بالفعل فيكِ قصور وفي مؤهلاتك الجسدية والشخصية نقص؟، طبعًا!، طبعًا فيكِ قصور وفي مؤهلاتك الجسدية والشخصية نقص، ولكن.. أي البشر ليس فيه قصور ولا نقص؟، إذا وُجِدَ هذا الكائن فإنه لن يكون في حياتنا هذه، هذه حقيقة في الحياة يجب أن نعرفها ونوقن بها، ويجب أن نتقبلها ونرضى بها، وانظري إلى أبيك وإلى أمك

(٣) أخرجه: مسلم، وأحمد بن حنبل.

وإخـوتك وخالاتـك وعمـاتك وجـيرانـك وزميـلاتك وجميع من تعرفينه وجميـع من حولك، ستجدين فيهم جميـعًا أوجه قصور ونقص، ولكن فيـهم أيضًا ـ وفيكِ أيضًا ـ أوجـه حُسْن وفـضيلة، كلنا فـينا إشراق وظلام وخير وشر . . هذه سنة الحياة وطبـيعة البشر، ولكن قد يختلف كل منا في أوجه الحُـسن وأوجه القصور، ويقع الخطأ وتبدأ الأوهام والهـواجس عندما يرى شـخصٌ ما في غيره من حُسن ولا يرى ما في نفسه؛ لأنه يعتقد أن الحـسن الذي في غـيره هو بالضـرورة الذي ينبـغي أن يكون في نفســه، وقد يرى ما في نفـسه من نقص ولا يرى ما في غيره؛ لأنه يبحث أيضًا في غيره عن النقص ذاته الذي في نفـسه . . وهذا خطـأ في التصـور، فلسنا جميعًا صورة واحدة، وليس مطلوبًا أن نكون كذلك.

ولكن مع ذلك علينا جـميعًـا أن نتقـبل أنفسنا كـما هي، وأن نبرز أوجه الحُسن والفضيلة فينا وننميها، وأن نعالج أوجه القصـور والنقص ونتلافاها، وقد يكون في مـقدورنا واسـتطاعتنـا معـالجة بعض هذه الأوجـه في

أجسـادنا وأخلاقنا وأفكارنا، وقد تبـقى بعضهـا الآخر شاهدًا على نقص الإنسان المخلوق وعجـزه وتفرد خالقه وحده بالكمال، أي: علينا الاجتهاد في تحسين و(تجويد) أنفسـنا وألا نُقصِّر في مـعالجـة ما نسـتطيعـه من أوجه القصور، وإلا نكون قد أضفنا إلى قـصورنا قصورًا آخر ـ مكتسبًا منا هذه المرة ـ يسمى (العجز والكسل)..

أما ضعاف النفـوس الذين لا يفهمون حقًّا حـقيقة الإنسان ولا يتصـفون بأخلاق فاضلة تمنـعهم من إخراج مكنونات ضعف نفوسهم بتـجريح الآخرين، فينبغي أن نرقى نحن عنهم، ونكون أسمى نفسًا منهم.

ينبغي أن نعي أنه قد يحدث اخـتلال في المعايير عند بعض الناس فيخلط بين النقص الذي لا يد لـلإنسان فيه وبين المنقصة أو النقـيصة التي تكون في النفس وبكسب من أصـيب بها، إن هؤلاء الناس ـ بعـد هذا الاختـلال والخلط ـ يقيّـمون الآخـرين بناء على هذه المعايير المختلة التي قد يرونها مصيبة..

بالطبع من حق كـل شخص أن يكـون له معـاييـره

وقِيَمُه التي يزن بها الآخرين، ولكن ينبغي أن نلاحظ أن بعض هذه المعايير قد يكون نابعًا من قيم صحيحة ومعانٍ خالدة يتفق عليها كل الناس أو معظمهم، وقد يكون بعضها الآخر نابعًا من أهواء أو رغبات شخصية لشخص معين، لذا: ينبغي أن ننتبه إلى أن التقييم عندما يكون نابعًا من هذه الأهواء والرغبات فلا يعني تغيير حقيقة الأشياء، ولا يعني أن حكم هذا الشخص المعين على الآخرين هو الحكم الحقيقي الصائب الذي يراه كل الناس، فبقية الناس سيرون أن هذا التقييم لا يُلزم أحدًا غير صاحبه.. أرأيتِ لو أن امرأة أرادت مثلاً الانفصال عن زوجها؛ لأنه لا تعجبها خِلقته أو لأنه حاد المزاج، أيجعله هذا صفرًا ويجعلها هي عشرة؟، ولكن أرأيت أنها لو أرادت الانفصال عنه لأنه ـ والعياذ بالله ـ عربيدًا أو ظالمًا أو ديوثًا، ماذا ستكون نظرة الآخرين؟ سينظرون إليّه على أنه رجل لا يستحق معايشتها، وينظرون إليها على أنها امرأة فاضلة ومحترمة لا تقبل العيش مع من هذا صفته.

فإذا عـابكِ أحد هؤلاء مخـتلي الموازين لشيء فيكِ، فهو أيضًـا فيه وفيـه، وكل إنسان فيه وفـيه، ولكن بأي شيء نقيّم الناس ونزنهم ونختارهم؟ هذا هو السؤال.

نعود مرة أخرى إلى البداية: هل أنتِ ضعيفة؟ نعم، ولكن هل هذا الضعف يعني عدم قـدرتك على المقاومة والتـغيـير نحـو الأفـضل؟، بداية: لا تنسِ أنك لست وحدك الضعيفة، فالإنســان ـ كل إنسان ـ ضعيف بطبعه وخِلقـته ﴿**يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَـفِّفَ عَـنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَـانُ ضَـعِيـفاً**﴾ [النساء: ٢٨]، ولا تـنسِ أيضًا أن ﴿**كَيْـدَ الشَّـيْطَانِ كَـانَ ضَـعِيـفاً**﴾ [النساء: ٧٦]، وإزاء هذين الضعفين يتـميز المؤمن بأنه من الممكن أن يقلب ضـعفه إلى قوة، وذلـك عندما يتـقوى بخالـقه ومولاه، بيـنما الشيطان وحـزبه لا يستطيعون ذلك؛ لأنهم لم يـتخذوا الله مولًى لهم، وعند ذلك تختل موازين القوى لصالح المؤمن المستجير بربه المرتكن إلى جنابه، فمن يستطيع أن يقف في مواجهة الله وحزبه؟ ﴿**وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَـإِنَّ حِـزْبَ الـلّهِ هُمُ الْغَـالِبُـونَ**﴾ [المائدة:

٥٦]، ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١]، فهذا الإنسان الضعيف يستطيع أن يقوي نفسه ويرقيها بفعل الطاعات، قال رسول الله ﷺ: "إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطِيَنَّه ولئن استعاذني لأعيذَنَّه "(٤).

أريدك أن تثقي بنفسك، ليس لأن أباك يرشدك إلى ذلك، بل لأنك حقًا تستحقين هذه الثقة وهذه النظرة من نفسك، وأن تعملي على تحقيق ذاتك، ولن تفعلي ذلك إلا إذا تقبَّلتِ ذاتك أولاً، وهي أيضًا جديرة بالقبول والعناية منك، وإذا حققتِ ذلك فستشقين طريقكِ في الحياة مشرقة النفس قوية العزم، وستجدين

(٤) أخرجه: البخاري، وابن حبان، والبيهقي.

أن لكِ رسالة في الحياة وأهداف سامية وطموحات كبيرة (أكبر حتى من تكوين أسرة مسلمة سعيدة، رغم عِظَم ذلك!!) تعملي على تحقيقها، واهتمامات نبيلة (أنبل حتى من مجرد ارتداء حجاب، رغم نُبل ذلك!!) تشغلك وتملأ عليك فراغك.. وهذا يساعدك على إحساسك بكيانك ومكانتك ودورك في هذه الحياة، وأن تنفتحي على الحياة وعلى طاعة الله ورضاه والرضا عنه، وتبحثي عن الجوانب المشرقة والإيجابية في نفسك وفي الآخرين بصدق وواقعية، وأن تنظري إلى الغد المجهول فترين نهاره يبدأ مع إشراقة الشمس وإشراقة النفس، وعند ذاك ستجدينه أفضل إن شاء الله حتى قبل أن تبصري نوره.. وبقدر ما تحققين ذلك ستجدين أن الحياة سهلة رغم صعابها، ممتعة رغم كدرها، بهيجة رغم خشونتها.

فأنتِ.. إنسان عظيم.

أليس كذلك؟!.

الفهرس

المقدمة ______________________ ٥

رسالة مِنِّي إليَّ ________________ ٧

العلاقة بيننا ___________________ ١١

أنتِ .. إنسان عظيم ______________ ١٧